

إشكالية القراءة

تمردت التيارات البنيوية العربية على المناهج التفسيرية (التاريخية والنفسية..)، وانطلقت من تصور جديد لكيفية قراءة النص الأدبي معتمدة أطرا مرجعية ومفاهيم ومصطلحات خاصة، متأثرة بمناهج النقد الغربية، فأصبح النص الأدبي ذاته موضع بحث علمي، وأقصى ما دعت البنيوية بخارج النص

وتعود نشأة المنهج البنيوي إلى منتصف العقد الثاني من القرن العشرين، مع دوسوسير الذي أسس للقطيعة مع المقاربات ونظرية التواصل. واكتمل "حلقة براغ" التقليدية للغة. والشكلايين الروس الذين أسسوا لمقولة البحث عن أدبية النص. وتبلور هذا المنهج مع رواد البنيوية في الغرب، كرومان ياكوبسون وكلود ليفي سترأوس وجيرار جنيت وغريماس

والبنيوية منهج وصفي تحليلي في قراءة النص الأدبي يهتم بالعالم الداخلي للنص الأدبي في بنياته اللغوية والفنية والرمزية، ويعتبر النص الأدبي متواليه من الجمل، يجب أن تدرس صوتيا ومعجميا وصرافيا وتركيبيا أو نصيا، ويُبحث عن العلاقات والقوانين الباطنية التي تحكمه، فالنص بنية مغلقة على ذاتها يجب أن تدرس من داخلها

اهتم بالمنهج البنيوي في العالم العربي نقاد مثل : عبد السلام المسدي، وجمال الدين بن الشيخ، وعبد الفتاح كليطو، وعبد الكبير الخطيبي، ومحمد بنيس، ومحمد مفتاح، وصلاح فضل المولود سنة 1938 بكفر الشيخ بمصر، مجاز في الأدب عام 1962، حاصل على دكتوراه الدولة من جامعة مدريد سنة 1971، اشتغل مدرسا بالجامعة، ومستشارا ثقافيا لمصر بإسبانيا، فعميدا للمعهد العالي للنقد الفني بأكاديمية الفنون، فاز بالعديد من الجوائز التقديرية المصرية والعربية، ألف في النقد الأدبي ونظرية الأدب والنقد التطبيقي والترجمة، خلف عدة آثار منها (بلاغة الخطاب وعلم النص)،(تحولات الشعرية العربية)، (مناهج النقد المعاصر) الذي أخذ منه النص موضوع درسنا

الملاحظة وصوغ الفرضية

وهو عملية نقدية منتظمة، تستند إلى إطار " المنهج" مركب اسمي يتكون من مصطلحين: "المنهج البنيوي" عنوان النص ، اقترن بيباء النسبة للدلالة على "البنية" ، وهو نعت يُضمَر مفهوم "البنيوي" نظري لقراءة النص وفق مبادئ مضبوطة، و منهج نقدي يتعامل مع "المنهج البنيوي" صفة تخصيصية للمنهج أمام تعدد المناهج النقدية في دراسة الأعمال الأدبية. و النص كبنية لها قوانينها ومبادئها المنظمة لعناصرها كنسق كلي، تستقل دلالاته عن الخارج

: مشيرات نصية يجمع بين كونها تنتمي "الواقع هو النص الأدبي ذاته" ؛ "البنية الدلالية للقصيدة" ؛ "النظرية البنيوية" إلى المقاربة البنيوية للنصوص الأدبية، باعتبارها تبحث في المبادئ المنظمة للدلالة في النص، وهي مقاربة تستند إلى إطار نظري بنيوي تستمد منه المفاهيم والأدوات الإجرائية لقراءة النصوص

من خلال الملاحظات السابقة نفترض أن النص يستعرض المنهج البنيوي : أسسه، خصائصه وأهميته ن ويطرح إشكالية إمكانات المنهج البنيوي ومميزاته مقارنة مع غيره من المناهج التفسيرية. فما القضية المطروحة في النص ؟ وما المفاهيم المؤطرة لها ؟ وما مرجعية الكاتب فيها ؟ وما طرائق عرضه للقضية ؟ وما مقصديته من طرحها ؟

الفهم

: وحدات النص الفكرية

1) تمثلت إرهابات المنهج البنيوي (في النصف الأول من القرن العشرين) في حقل الدراسات اللغوية باعتباره طليعة الفكر البنيوي.

2) حدد البنيويون مجال عملهم، فأكدوا أن موضوع الأدب هو العالم الذي يحيا فيه الأديب المبدع، وأن موضوع النقد هو الأدب وليس مرجعه الخارجي بأبعاده الاجتماعية والسياسية والتاريخية. لقد رفضوا القراءة الإيديولوجية للأدب، التي تُعيق الوقوف على كيفية اشتغال النص الأدبي، لأنها تحتكم إلى معايير مسبقة تحجب إدراك كيفية أداء الأدب لوظائفه التعبيرية والجمالية.

3) استند المنهج البنيوي إلى أسس نظرية تمثلت في تيارات العلم الحديث، خاصة منها (3)

الفلسفة الظاهرية: لا تهتم بالجانب الميتافيزيقي الغيبي في دراسة الأشياء، وتركز على ما يتجلى للإدراك في لحظة معينة

علم اللغة : وهو مصدر أهم مصطلحات المنهج البنيوي، ومفاهيمه ومنها مصطلح البنية الذي نشأ في علم النفس موازيا لفكرة (الجشطات أو الإدراك الكلي)، وفي الأنثروبولوجيا (إدراك نظم العلاقات في المجتمعات البدائية)، وفي علم اللغة

4) تبلور مفهوم البنية في عدة قضايا، تخص مجال النقد، يمكن ترتيبها كالتالي (4)

الأعمال الأدبية تمثل كُلية باعتبار دلالتها ترتبط بهذا الطابع الكلي لها ؛ (فالبنية الدلالية للقصيدة مثلا، ليست هي حصيلة أجزائها، بل تُبنى من مستويات تخترق هذه الأجزاء، وتتغلغل فيها وتشتبك معها، إنها مُحصلة مجموعة من البنى كالبنية الإيقاعية، والتركيبية، والتعبيرية، والتخييلية التي تصل إلى ذروتها في المستوى الرمزي الكلي])

هدف البنيوية هو الوصول إلى فهم المستويات المتعددة للأعمال الأدبية ودراسة علاقتها وتراتبها والعناصر المهيمنة على موت المؤلف إشارة " غيرها وكيفية تولدها، ثم كيفية أدائها لوظائفها الجمالية والشعرية، مما جعل البنيويين يُطلقون شعار إلى وضع حد للتيارات النفسية والاجتماعية

رفض أحكام القيمة الخارجية وإحلال حكم الدلالة والوظيفة والقيمة للمكون النصي :أي ما ينبثق منه وما يتجلى فيه من قدرة وإنجاز

5) أهمية المنهج البنيوي، ومقارنته بغيره في الغرب والعالم العربي

(لترسيخ ... منذ السبعينيات من القرن العشرين غزت المصطلحات البنيوية بقية الحقول المعرفية (الماركسية - الوجودية التطور المفاهيمي والمعرفي للفكر النقدي الغربي، وشكلت الإطار العام للفكر والثقافة لتنمية مبادئ تلك الحقول المعرفية، وتدارك نقائصها

في العالم العربي شكلت البنيوية مُطلقا لتحديث الخطاب النقدي

التحليل

الإشكالية المطروحة

تتعلق إشكالية النص بخصائص المنهج البنيوي وأساسه النظرية في قراءته الوصفية التحليلية للنص الأدبي. فهو منهج يتميز بكونه ينظر إلى موضوع النص من خلال الواقع الكامن فيه، والذي يُتوصل إليه من زاوية مستوياته المتعددة التي تخترق أجزاءه، ودراسة علاقتها وتراتبها والعناصر المهيمنة، وتكشف دلالاته المرتبطة بطابعه الكلي، والتي تحدد المبادئ والقوانين المنظمة لنسقه الكلي. ثم كيفية تولدها وأدائها لوظائفها الجمالية والشعرية. ومن هنا رفض أحكام القيمة، وتبني حكم الواقع، واقع النص.

المفاهيم

حقل النقد الوصفي (داخل النص) حقل النقد التفسيري (خارج النص)

– منطق إبديولوجي – نظريات مرتبطة بجوانب سياسية أو اجتماعية أو تاريخية – إبديولوجيات – علاقة الأدب بالحياة الماركسيين – الميثولوجيا القديمة – المستويات الخارجية – نظرية في الحياة – حقيقة جوهرية فلسفية – معايير مُسبقة النقد – لغة النقد تسبح فوق لغة النص – ميتا لغوي – النفسي.. – تنتمي إلى المنهج الاجتماعي – والوجوديين نظرية في ظواهر – الرموز المتماسكة في الأعمال الأدبية – الوظائف التعبيرية والجمالية – علم للأدب – الأدبي – البنية – علم اللغة / الغطاء النظري للبنيوية – نقد الأدب نوع من العلم الإنساني – الظاهرانية – الإبداع الأدبي مستويات الأعمال – البنية الدلالية للقصيدة – البنى الجزئية – الأعمال الأدبية تمثل أبنية كلية – علم اللغة – الجشطالت – الوظائف الجمالية والشعرية – كيفية تولدها – العناصر المهيمنة على غيرها – دراسة العلائق وتراتبها – الأدبية .. ما ينبثق من النص – رفض أحكام القيمة الخارجية – النص ذاته – حكم الواقع – موت المؤلف

: لقد تحكمت في بناء المعجم علاقة التعارض بين التصورين

الدراسة الخارجية التي تؤمن بمفهوم المرآوية والانعكاس، وإن كان الاختلاف في المحيل عليه (الفرد أو الجماعة أو المحيط).

الدراسة الداخلية للنص التي تنطلق من كون النص الأدبي لا يعكس إلا ذاته

نلاحظ هيمنة المصطلحات المتعلقة بالمنهج البنيوي تمثيا مع رغبة الكاتب في تقديم التصور الجديد الذي يستند إليه المنهج البنيوي في النقد الأدبي؛ وذلك لأن الأمر يتعلق برصد أسس المنهج البنيوي وتأصيله وإبراز أهم مفاهيمه وبيان أهميته ومميزاته مقارنة مع غيره.

تُستمد المفاهيم من حقول علمية عديدة مثل: اللسانيات التي كانت المنطلق لكثير من المقاربات (الشكلانية، الأسلوبية، الشعرية، السيميائيات..). يجمعها قاسم مشترك، اصطلاح على تسميته بالقراءة البنيوية، ومن التاريخ والاجتماع. وقد لعبت هذه المفاهيم دورا هاما في إضاءة القضية المطروحة في النص، والكشف عن إمكانات المنهج البنيوي، وجرّد مميزاته

القضايا المتفرعة عن الإشكالية

تفرعت عن هذه الإشكالية بعض القضايا النقدية، منها

مفهوم البنية نظريا ووظيفيا : حيث يُنظر إلى العناصر باعتبارها مكونات ضمن معمار النص، تتميز بطابعها الدلالي الذي يُبرز كيف يأتي المعنى إليه. ويخضع معمار النص من حيث تحديده، وطريقته في التدليل والاشتغال، إلى مختلف المفاهيم الإجرائية التي تحدد المنهج الذي تتبناه النظرية بوصفها جهازا واصفا، له كفاياته المخصوصة، وطريقته في الاستدلال عموما. ويختلف المعمار من هذا المنظور باختلاف الإطار النظري الذي يستند إليه في التحديد، ومن تم فهو، منظورا إليه باعتباره تركيبا للنص، تنتظم فيه المعطيات اللسانية لبناء النسق الدلالي العام. والعمل الأدبي ليس أجزاء مستقلة متجاوزة، بل هو عناصر مترابطة بعلاقات متكاملة، تتفاعل فيما بينها وظيفيا، تتسق ضمن الوحدة الكلية للنص، حتى أن كل تغيير في العنصر يترك أثره على البنية كلها. فدراسة هذه البنية في ذاتها عبر التوصيف هو ما يمكن من الوقوف على جمالية النص أو أدبيته

موت المؤلف الذي أطلقه رولان بارت إشارة إلى وضع حد للتيارات النفسية " مقولة موت المؤلف : شعار والاجتماعية

اعتبار عالم النص الأدبي عالما مُغلقا : عالم النص الأدبي داخلي مُغلق في بنياته اللغوية والفنية والرمزية ؛ والجمالية في النص الأدبي تتجلى في حركة العناصر من حيث هي عناصر مختلفة في ما بينها، ومن حيث كونها تنسج في حركتها أنساقا من العلاقات المتنوعة. الجمالية مكنها النسيج وقدرة العناصر على توليدها نسقا متميزا ينهض بالبنية ويصل بها إلى نمذجة النظام وإلى وضعه على مستواه الصافي الشفاف حتى الخفاء واللاحضور أو حتى الإيهام بالانظام أو بالعمومية

وهكذا فالعلاقة بين القضايا المتفرعة عن القضية الأساس (خصائص المنهج البنيوي) هي علاقة تكامل وإيضاح، يسعى الكاتب من ورائها إلى إضاءة قضية النص

الإطار المرجعي

الإطار المرجعي الذي استند إليه الكاتب يؤول إلى

محاضرات في علم اللسان " بتعبير دي سوسير في كتاب "العلم الذي يدرس اللغة في ذاتها ولذاتها" الدراسات اللسانية : ، فكان هذا بداية النظر إلى اللغة نظرة جديدة تقوم على دراسة اللغة باعتبارها نسقا ونظاما عناصره الأساسية "العام هي : الصوت، المعجم، الصرف، التركيب، والدلالة، واعتبارها أداة للتواصل

حركة الشكلانيين الروس : التي أطلقت مقولة البحث عن أدبية النص، في العناصر النصية والعلاقات المتبادلة بينها والوظيفة التي تؤديها في مجمل النص، وتعاملت مع الشعر الرمزي، ووقفت على جماليته انطلاقا من شكل المضمون، وجسدت في أبحاثها المرحلة الأولى للمنهج البنيوي قبل تطوره، فروادها هم أول من بحث في القوانين الداخلية للنصوص الأدبية

"قضايا اللغة الشعرية" : خاصة رومان ياكبسون في كتابه : " براغ " حركة

لا تهتم بالغميبيات والمتافيزيقا بل بالعلم، بالجوانب التي تدرك، " إدموند هوسرل، فلسفة "الفلسفة الظاهرية : مع وبالكيفية التي يُنجز بها العمل

الفلسفة الوضعية: التي سارت في اتجاه الموضوعية والاستقصاء العلمي التجريبي

إن غنى المعجم وتناسل القضايا والمفاهيم يدل على تنوع المرجعية النظرية للمنهج البنيوي. مثل نظرية الجشطالت التي نظرت إلى لشعور على أنه بنية مركبة ومتداخلة العلاقات فيكون الإدراك كليا : إدراك الكل قبل الجزء، وبعض التيارات (وتدرسها في ذاتها دراسة... اللسانية التي تعتبر اللغة نظاما من العناصر (المستويات: الصوت، المعجم، التركيب وصفية

طرائق العرض

كان الغطاء " انسجاماً مع طبيعة هذا الخطاب شديد الكاتب نظامه التفسيري متوسلاً بعدة أساليب للتفسير، منها : التعريف : المبدع يرى العالم ويكتب عنه، لكن الناقد ليس له علاقة مباشرة بهذا " ، والمقارنة : " النظري للنبوية هو علم اللغة فالقصيدة لا " . كما قارن بين المنهج النبوي والمنهج الاجتماعي والنفسي، وبين لغة الأدب ولغة النقد، والتمثيل : "العالم كان قد نشأ في " ، والسرد "تصبح مجرد مجموعة من الأبيات بل تبنى من مستويات تخترق هذه الأجزاء.. ، ويتجلى دور هذه الأساليب في الإقناع بجدوى " . في النقد الأدبي..... وأصبح..... ونشأ في علم اللغة... الأنتروبولوجيا المنهج النبوي من خلال التعريف به، وتحديد ماهيته، وجرد خصائصه، وبيان أسسه بأسلوب استدلالى يجعل أطروحة الكاتب مُتعة متماسك بناؤها، متنسقة لغتها

: واعتمد الكاتب تصميمين منهجيين

الجرد، حيث عرف المنهج النبوي بتحديد ماهيته وجرد خصائصه، ووصف مرجعياته النظرية، مقارنته مع غيره

التعاقب الذي يحترم المسار التاريخي لتطور النظرية النبوية، بدأ من الإرهاصات الأولى في حضان الدراسات اللغوية، ووصولاً إلى مرحلة التبلور بعد تطوير العدة المفاهيمية وتحولاتها الإجرائية في العلاقة بين النظرية والممارسة النقدية

: وتحقيقاً للإقناع توسل الكاتب بأنواع من الحجج منها

"لأن هذا الحقل (الدراسات اللغوية) كان يمثل طليعة الفكر النبوي "الحجة البرهانية التي تفيد اليقين كقوله :

فإذا كان موضوع الأدب هو العالم فإن موضوع النقد " الحجة الجدلية التي تقارب اليقين وتلزم المخاطب من مثل قوله : "هو الأدب وبذلك لم يعد النقد مجالاً لبروز إيديولوجيات

النقاد يعميهم كثيراً أن يقعوا في هذه الإيديولوجيات نفسها لأنهم حينئذ سوف " الحجة الخطابية التي تفيد الظن الراجح مثل " . يحتكمون في قراءة الأدب إلى معايير مسبقة في أذهانهم فلا يستطيعون رؤيته على حقيقته

اللغة والأسلوب

اعتمد الكاتب لغة نقدية أدبية يغلب عليها الطابع التقريرى التعريفى المقترن بأدوات التوكيد لإقناع القارئ؛ لهذا جاء الخطاب متنسقاً بفعل مجموع الوسائل اللغوية والشكلية، الظاهرة والخفية، منها استخدام أشكال من الربط كالربط البياني والربط البياني الجمعي القريب: تحاول أن تقبض عليها وتمسك بها وتحلل "يرى العالم ويكتب عنه" المثوى القريب: . اختمرت عبر النصف الأول من القرن... وإنما كانت له إرهاصات..... لم ينبثق المنهج النبوي "والبعيد: "علاقاتها "والإحالة النصية القبلية عن طريق الضمائر: " . في حقل الدراسات اللغوية..... لعل من أولها ما نشأ..... العشرين التي تشير إلى الفلسفة التي سبق " هذه "وأسماء الإشارة : "فلسفة الظاهرانية التي تتميز "وأسماء الموصول : "كانت له والجمالية والشرح "النبوية والبنية" . زيادة على هذا تم تحقيق اتساق الفقرات باعتماد التكرار اللفظي مثل : "ذكرها ، والأسلوب الخبرى المؤكد (وقد حاول..إن "في مقدمة هذه المصطلحات " "معنى هذا أن نظرية الأدب " والتوضيح فإنه...أهم..إن دراسة)، وصيغ الوجوب (على أن ذلك يقتضىء ولابد..)، إضافة إلى صيغ الشرط (إذا كان مصطلح). وغايته من ذلك إلزام المتلقي بصحة الأطروحة المعبر عنها. وإقناعه بجدوى المنهج النبوي وقيمتها العلمية...ينبغي في دراسة النصوص الأدبية

التركيب والتقويم

قصد الكاتب من خلال النص إلى التعريف بالمنهج النبوي من خلال ماهيته وخصائصه وأسس، فبين أن الدراسات

اللسانية مثلت طليعة الفكر البنيوي، إذ حدد البنيويون مجال عملهم ؛ فإذا كان موضوع الأدب هو العالم الذي يحيا فيه الأديب المبدع، فإن موضوع النقد هو الأدب وليس مرجعه الخارجي. وشكل هذا التحديد منطلقا لتحقيق علمية الأدب وتخليصه من الخلفيات الإيديولوجية التي تعيق الوقوف على كيفية اشتغال النص الأدبي وتحقيقه للوظائف التعبيرية والجمالية.

وبذلك تتأكد لنا صحة فرضية توقعناها في بداية قراءتنا المنهجية، وهي أن النص يعالج قضية نشأة المنهج البنيوي وتأصيله، وجرّد خصائصه بمقارنته بغيره من المناهج التفسيرية، والأسس العلمية التي استند عليها، وهدفه من دراسة الأثر الأدبي..

وتأسيسا على ذلك يمكن القول إن البنيوية بوصفها منهجا نقديا حديثا له ملامحه الواضحة والمتكاملة في الفكر الحديث قد تبلورت في حوار مع مناهج سابقة أو معاصرة، ومع مجموعة من العلوم كاللسانيات والأنثروبولوجيا وعلم النفس، لكنها (البنيوية) ظلت أداة للنظر والتحليل ولم تتحول إلى علم أو نظرية قائمة الذات

ومع ذلك تعرضت بدورها للنقد من قبل النقد الإيديولوجي التفسيري (النفسي والاجتماعي..)، ومن أصحاب نظرية التلقي. فهذا فاضل ثامر يقول عن البنيوية أنها تبلورت من حوار مع مجموعة من العلوم كاللسانيات والأنثروبولوجيا... لكنها ظلت مجرد أداة للنظر والتناول والتحليل، ولم تتحول إلى نظرية أو علم أو فلسفة أو إبستمولوجيا. والواقع أن هذا الرأي يتقاطع مع رأي الدكتور صلاح فضل في الإشارة إلى البعد الوصفي والتحليلي للمنهج البنيوي واستناده إلى.. المرجعية العلمية واللسانية، ويختلف معه في التأكيد حقيقة إبستمولوجية، وهي صعوبة تحول المنهج إلى نظرية أو علم